مجلة سوزوسا العلمية المحكمة
Sozusa Peer-Reviewed Scientific Journal
ISSN: 3078 – 2767
المجلد الثالث، العدد الاول، مارس 2025
DOI: https://doi.org/10.66358/sozusa.v3i1.005

الرحلات الاستكشافية الفرنسية في ليبيا خلال الفترة ما بين 1847 – 1910

عبد الله ابراهيم الشاعث

قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة عمر المختار، البيضاء

الملخص:

منذ مطلع القرن الثامن عشر كانت الأراضي الليبية هدفًا لحركة استكشافية أوروبية نشطة، ازداد زخمها مع مطلع القرن التاسع عشر، كانت هذه الرحلات تنطلق من دوافع متعددة (سياسية – اقتصادية – علمية – دينية)، ولم تخلُ أيضا من تنافس بين البلدان الأوروبية، كما إن الرحالة الأوروبيين قد واجهوا الكثير من الصعوبات أثناء إقامتهم وتنقلهم عبر الأراضي الليبية. وقد كان للرحالة الفرنسيين مشاركة مميزة في هذه الحركة الاستكشافية، خاصة خلال الفترة ما بين 1847 – 1910، وقد تركزت جهود هؤلاء الرحالة بشكل أساسي في جنوب غرب ليبيا؛ وذلك وفقاً لمصالح بلادهم السياسية والاقتصادية.

الكلمات المفتاحية: رحلة، استكشاف، فرنسا، ليبيا

French expeditions in Libya during the period between 1847 – 1910

Abdallah Ibrahim Al-Shaith

Department of history, Faculty of Arts, University of Omar Al-Mokhtar, Libya

Abstract:

Since the beginning of the eighteenth century, the Libyan lands have been the target of an active European exploratory movement, the momentum of which increased with the beginning of the nineteenth century. These trips were launched from multiple motives (political - economic - scientific - religious), and were also not without competition between European countries. European travelers faced many difficulties during their stay and movement through Libyan lands. French travelers had a distinguished participation in this exploratory movement, especially during the period between 1847 - 1910. The efforts of these travelers

مجلة سوزوسا العلمية المحكمة
Sozusa Peer-Reviewed Scientific Journal
ISSN: 3078 – 2767
المجلد الثالث، العدد الاول، مارس 2025
DOI: https://doi.org/10.66358/sozusa.v3i1.005

were mainly focused in southwestern Libya. This is according to their country's political and economic interests.

Key Words: Journey, Exploration, France, Libya

1. المقدمة:

إنه من الصعب تحديد بداية انطلاق الاستكشافات الأوروبية الحديثة في ليبيا؛ وذلك لكونها تمثل امتدادًا لحركة الكشوف الأوروبية التي انطلقت منذ القرن الرابع عشر، وأيضا لأن عملية استكشاف الأراضي الليبية كانت جزءًا من عملية استكشاف القارة الإفريقية عمومًا، غير أنه من المؤكد أن هذه الحركة قد اتضحت معالمها خلال أوائل القرن الثامن عشر، ثم اكتسبت زخمًا أكبر في نهاية القرن نفسه ومطلع القرن التالي.

إن هذه الحركة كانت تنطلق من دوافع متعددة: اقتصادية، سياسية، دينية، وعلمية، وقد تتداخل هذه الدوافع خلال الرحلة الواحدة، وبعيدًا عن الطابع الشخصي المتمثل في حب الرحالة الأوروبيين للسفر والتجوال في الأراضي الليبية؛ فإن هذه الرحلات لم تكن بمعزل عن التوجهات السياسية لحكومات بلدانهم، وبالتالي يمكن اعتبار هؤلاء الرحالة طليعة للموجة الاستعمارية التي اجتاحت ليبيا بل والقارة الإفريقية بأسرها.

إن أكثر الجنسيات الأوروبية نشاطًا في حركة استكشاف ليبيا هم البريطانيون والألمان والإيطاليون والفرنسيون، وهؤلاء الاخيرون كانت لهم الريادة في هذا المجال، من أمثال (كلود لومير) و (بول لوكاس) و (كلود غرانجيه)، الذين استكشفوا الأراضي الليبية خلال الثلث الأول من القرن الثامن عشر، وعلى الرغم من انقطاع نشاط الرحالة الفرنسيين في ليبيا خلال الفترة ما بين 1734 – 1847م – باستثناء رحلة (جان ريمون باشو) 1824 – 1825م – فإن الرحالة الفرنسيون قد عادوا إلى الساحة الليبية وبقوة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وكان نشاطهم يتميز بسيطرة الدوافع السياسية والاقتصادية، كما تميز أيضًا بالاهتمام بمنطقة محددة من الأراضي الليبية وهي الاجزاء الجنوبية الغربية من البلاد والمحاذية للحدود التونسية والجزائرية.

مجلة سوزوسا العلمية المحكمة
Sozusa Peer-Reviewed Scientific Journal
ISSN: 3078 – 2767
المجلد الثالث، العدد الاول، مارس 2025
DOI: https://doi.org/10.66358/sozusa.v3i1.005

وتكمن أهمية هذا الموضوع في كونه يتناول الرحلات الاستكشافية الفرنسية في ليبيا خلال الفترة موضوع البحث، سواءً كظاهرة في حد ذاتها، أو لكونها تعكس اهتمامًا فرنسيًا بليبيا، من الناحيتين السياسية والاقتصادية

الهدف من هذا البحث دراسة حركة الاستكشاف الفرنسية في ليبيا خلال الفترة ما بين 1847 – 1910م، بما يكفل معالجة مجموعة من التساؤلات على النحو الآتي:

متى بدأ الاهتمام الفرنسي بأستكشاف الأراضي الليبية؟ وما هي دوافع الرحلات الفرنسية في ليبيا خلال الفترة 1847/ 1910م؟ ومن هم أهم الرحالة الفرنسيين الذين زاروا الأراضي الليبية خلال هذه الفترة؟ وكيف سارت رحلاتهم؟

لقد استخدمت في هذا البحث المنهج السردي التاريخي، مع مراعاة التحليل والاستنتاج وفق ما تقتضيه طبيعة الموضوع.

ينقسم هذا البحث إلى: تمهيد يتناول جذور الاستكشافات الأوروبية في ليبيا والدور الفرنسي فيها، ويغطي الفترة ما بين 1703/ 1847م، ثم يتلو هذا التمهيد مبحثان: الأول يبحث في دوافع الرحلات الفرنسية إلى الأراضي الليبية خلال الفترة ما بين 1847/ 1910م، والمبحث الثاني يعرض لأهم الرحالة الفرنسيين الذين قاموا برحلات داخل الأراضي الليبية خلال الفترة ما بين 1847/ 1910م، وينتهي هذا البحث بخاتمة تلخص أهم ما توصلت إليه من استنتاجات.

تمهيد: جذور الاستكشافات الأوروبية في ليبيا والدور الفرنسي فيها 1703– 1847:

لقد كانت فرنسا رائدة فيما يخص حركة الاستكشاف الأوروبية في ليبيا، حيث تعود أول رحلة استكشافية فرنسية في الأراضي الليبية إلى سنة 1703م، عندما قام القنصل الفرنسي في طرابلس (كلود لومير) برحلة من طرابلس إلى الجبل الاخضر، مروراً بواحة أوجلة، وكانت الآثار اليونانية والرومانية من أقوى العوامل التي دفعت القنصل المذكور إلى القيام بهذه الرحلة، والواقع أن(لومير) قد واصل استكشافاته في الجبل الأخضر على شكل رحلات متتالية حتى سنة 1707م (Laronde, 1987, 261) كما قام فرنسي آخر وهو (بول لوكاس) برحلة من مصر إلى طرابلس مرورًا بالسواحل الليبية ما بين سنتي 1707 – 1708م

مجلة سوزوسا العلمية المحكمة
Sozusa Peer-Reviewed Scientific Journal
ISSN: 3078 – 2767
المجلد الثالث، العدد الاول، مارس 2025
DOI: https://doi.org/10.66358/sozusa.v3i1.005

(Zwierlein, 2016, 279) ثم تبعه الطبيب (كلود غرانجيه)، والذي تجول ما بين درنة وبنغازي خلال الفترة ما بين اكتوبر 1733 – يونيو 1734م (Laronde, 1992, 185 – 191).

لكن بعد هذه الرحلة يتراجع النشاط الفرنسي في البلاد، حيث تولى الرحالة البريطانيون والإيطاليون والألمان زمام الحركة الاستكشافية الأوروبية في ليبيا، وأنفرد الرحالة البريطانيون بهذا النشاط خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر، مثل (جيمس بروس) 1767م (Paugano *et al,* 1991, 10 – 12) و (سيمون لوكاس) 1788م (Murray, 1818, 311 – 314) وحتى الرحلة التي قام بها الألماني (فردريك هورنيمان) 1798– 1799م كانت بتكليف ورعاية من الجمعية الجغرافية البريطانية (موري، 1971، 11 – 15).

أما في مطلع القرن التاسع عشر فتأتي رحلة الإسباني (باديا ليبليك) – الشهير باسم علي بك العباسي – سنة 1805م، والتي اقتصرت على مدينة طرابلس فقط (Di Angelo, 2018, 364)، تليها سيطرة إيطالية على حركة الاستكشاف الأوروبية في ليبيا تحت رعاية حكومة طرابلس الغرب نفسها، وتمثلت في رحلات كل من (اوغستينو شيرفيللي) 1811م و(باولو ديلا شيلا) 1817م و (دي مونتي كاسيانو) 1819م (Rekowska, 2013, 55 – 59)، ليعود الرحالة البريطانيون إلى تَصَدُّر المشهد من خلال رحلات كل من (فرنسيس ليون) و(جوزيف ريتشي) 1818– 1820م والأخوان (هنري وفردريك بيتشي) 1821 – 1822م، والفريق المُكوَّن من (هيوج كلابرتون – ديكسون دينهام – وولتر اودني) 1822م، ثم (ألكسندر لاينج) 1825م (كورو، 1984، 142).

وبمقتل هذا الأخير تتوقف الرحلات الأوروبية في ليبيا لمدة عشرين سنة بشكل شبه تام؛ ومع إنه قتل خارج الأراضي الليبية؛ إلا إن الاتهامات قد طالت بعض المسؤولين في حكومة طرابلس الغرب بالتواطؤ مع القنصل الفرنسي في حادثة مقتل الرحالة المذكور والاستيلاء على مذكراته (الخباط، 1985، 161– 172)، كما إنه لا يمكن إغفال ما مرت به البلاد من فوضى واضطرابات بسبب حركات التمرد والعصيان التي نفذتها بعض القبائل؛ مثل حركة (عبد الجليل سيف النصر) وحركة (غومة المحمودي) (Wright, 2012, 83 – 85).

مجلة سوزوسا العلمية المحكمة
Sozusa Peer-Reviewed Scientific Journal
ISSN: 3078 – 2767
المجلد الثالث، العدد الاول، مارس 2025
DOI: https://doi.org/10.66358/sozusa.v3i1.005

وبخصوص غياب الرحالة الفرنسيين عن الساحة الليبية فإن (جان ريمون باشو) يبقى هو الاستثناء الوحيد؛ ففي سنة 1824م قررت الجمعية الجغرافية الفرنسية إرسال بعثة علمية لإجراء دراسة جغرافية وأثرية في برقة، وقد وقع الاختيار على الرسام وعالم الآثار (جان ريمون باشو 1797 – 1827) كما تمت دعوة المستشرق وعالم اللغات الألماني (فريدريك موللر) للانضمام لهذه البعثة (Pacho, 1827, v – vi) والتي انطلقت في نوفمبر 1824م من الإسكندرية باتجاه سواحل برقة، وقد مرت الرحلة عبر طبرق والبمبة ودرنة والتي توجب عليه المكوث بها لمدة عشرين يومًا للحصول على التصريح اللازم لمواصلة الرحلة إلى عين مارة وصولًا إلى لملودة، ليعود مجددًا إلى عين مارة كي يتمكن من استكشاف الساحل الممتد من درنة إلى الحمامة، حيث مر بمناطق كرسة – لثرون – رأس الهلال – سوسة، ثم بعد ذلك خصص وقتًا واهتمامًا أكثر بمدينة شحات، ليواصل التقدم غربا إلى بلغرا – عند المدخل الغربي لمدينة البيضاء حاليًا– ثم المرج وطلميثة وتوكرة ودريانة وبنغازي وتوغل غربًا حتى اجدابيا ثم انعطف جنوبًا إلى واحة أوجلة ومنها عاد إلى مصر عن طريق واحة سيوة (Rekowska, 2016, 27 – 30)، وقد واجه (باشو) ومرافقوه عدة صعوبات أثناء هذه الرحلة تمثلت في تردي الحالة الأمنية، وتدهور صحة المرافق الألماني (موللر) والذي اضطر لقضاء فترة من الراحة في مدينة درنة (Pacho, 1827, 124).

وفي منتصف أربعينيات القرن التاسع عشر استأنف الرحالة الأوروبيون نشاطهم في الأراضي الليبية، من خلال رحلة البريطاني (جيمس ريتشاردسون) من طرابلس إلى غدامس وغات ومرزق، بين سنتي 1845 – 1846م (Waldman, 2019, 712)، ثم رحلة الألماني (هاينريش بارت) عبر السواحل الليبية سنة 1846م (Von Schubert, 1897, 21) ثم عودتهما معًا رفقة الألماني الآخر (أدولف اوفرفيج) سنة 1850م للقيام برحلة إلى مناطق وسط افريقيا برعاية وتكليف من الحكومة البريطانية (Wright, 2012, 89) لتبدأ فترة نشطة في مجال الرحلة والاستكشاف الأوروبية في ليبيا، خاصة مع وصول البريطاني (جيمس هاملتون) سنة 1852م (Wright, 1989, 99)، ثم الألماني (ادوارد فوجل) 1853م (فيرو، 1994، 496)، وهنا عاد الرحالة الفرنسيون مجددًا إلى ممارسة نشاطهم في الأراضي الليبية في منتصف أربعينيات القرن التاسع عشر.

المبحث الأول: دوافع الرحلات الفرنسية إلى الأراضي الليبية 1847– 1910م:

مجلة سوزوسا العلمية المحكمة
Sozusa Peer-Reviewed Scientific Journal
ISSN: 3078 – 2767
المجلد الثالث، العدد الاول، مارس 2025
DOI: https://doi.org/10.66358/sozusa.v3i1.005

إذا كان الدافع الرئيسي لدى معظم الرحالة الأوروبيين يتمثل في اتخاذ الأراضي الليبية معبرًا نحو دواخل إفريقيا، بالإضافة إلى البحث عن الآثار؛ فإن الرحالة الفرنسيون كانت لديهم دوافعهم الخاصة، والتي هي في الغالب دوافع سياسية، إذ إن معظمهم كانوا مبعوثون من طرف السلطات الفرنسية في الجزائر تحديدًا؛ وكانت هذه الرحلات تتزامن مع جهود فرنسا الرامية إلى مد نفوذها على الصحراء الجزائرية؛ إذ أن الاحتلال الفرنسي للجزائر منذ 1830م كان محصورًا في المناطق الشمالية فقط؛ وكانت مناطق غدامس وغات تحديدًا تمثل هدفاً للتوسع الفرنسي؛ خاصة وأن غدامس لم تدخل في حوزة العثمانيين إلا مؤخراً ولا يزال النفوذ العثماني فيها ضعيفًا، أما غات والمناطق المحيطة بها فلا تزال خارج السيطرة العثمانية، وبالتالي فقد تركز نشاط الرحالة الفرنسيين في هذه المناطق تحديدًا (تشايجي، 1982، 63)؛ مثل الضابط (دي بونيمان) الذي زار مدينة غدامس سنة 1856م، وكذلك الجزائري (اسماعيل بو دربة) الذي زار مدينة غات سنة 1858م بتكليف من الإدارة الفرنسية في الجزائر، بهدف إعداد تقرير عن قبائل التوارق، ومعرفة الزعماء أصحاب النفوذ الذين يمكن أن تتعامل معهم الحكومة الفرنسية مستقبلاً، وقد نجح الرحالة الفرنسيون في استقطاب بعض الزعماء القبليين من التوارق في غات ومحيطها، مثل (محمد اكنوكن) زعيم قبيلة أزقر الذي تولى حماية الرحالة (هنري دوفيريه) سنتي 1860– 1861م، وأصبح فيما بعد حاميًا لكل الرحالة الفرنسيين في منطقته، ومن الواضح أن هذه العلاقة من جانب (اكنوكن) قد تحولت من مجرد صداقة إلى ولاء لفرنسا، في الوقت الذي ظل فيه عدد من الزعماء التوارق على ولاءهم القديم لبريطانيا، كما نجح الرحالة الفرنسيين أيضا في توقيع عقد مماثل مع الشيخ (حاج عثمان) زعيم قبيلة ايفوغاسن (حسن، 2010، 157 – 162)، والذي اصطحبوه برفقتهم إلى فرنسا؛ مما يعني أن الحكومة الفرنسية قد بدأت بالتواصل مع زعماء التوارق تمهيدًا لبسط السيطرة على تلك المناطق.

والواقع أن فرنسا كانت تتفاوض في ذلك الوقت مع الدولة العثمانية للحصول على غدامس، كما كانت تنوي السيطرة على غات بحجة انهاء الحرب الأهلية بين قبيلتي (هقار) و(ازقر) (كورو، 1984، 14 ، 123)، لكن السبب الحقيقي هو أن فرنسا قد علمت بمخططات العثمانيين الرامية إلى بسط نفوذهم على غات؛ فأرادت تنفيذ ضربة استباقية، كما إن زيارة (بودربة) لمدينة (غات) كانت تهدف إلى قطع الاتصالات بين زعماء التوارق وبين الحركة السنوسية؛ حيث كانت الأخيرة تبعث بتحذيراتها للتوارق من خطورة الاطماع

مجلة سوزوسا العلمية المحكمة
Sozusa Peer-Reviewed Scientific Journal
ISSN: 3078 – 2767
المجلد الثالث، العدد الاول، مارس 2025
DOI: https://doi.org/10.66358/sozusa.v3i1.005

الفرنسية (Faucon, 1890, 101 – 102)، ووفقًا لتقرير (بودربة) فإن أربعين رسالة قد وصلت من زعيم السنوسية إلى زعماء التوارق في غات بهذا الخصوص (Traiud, 1995, 79) .

ومن جهة أخرى فمن الواضح أن دخول الرحالة الفرنسيين وبقوة إلى الساحة الليبية كان مثار قلق ليس لحكومة طرابلس الغرب فقط؛ بل ولبريطانيا أيضا؛ فعند وصول الرحالة (ألكساندر فون كرافت) – وهو ألماني يعمل لصالح فرنسا – إلى طرابلس سنة 1860م، فقد اطلقت القنصلية البريطانية في طرابلس موجة من الشائعات حول النوايا السياسية لهذه الرحلة، واتهمت (كرافت) بمحاولة إحياء تمرد قبائل (المحاميد) الذي سبق وأن قضت عليه حكومة طرابلس قبل سنتين، كما حاول القنصل البريطاني إغراء (كرافت) بالتخلي عن فرنسا والعمل لصالح بريطانيا (Firaud, 1927, 415 – 417).

وبالإضافة للدوافع السياسية فإن بعض الرحلات كانت تكمن خلفها دوافع اقتصادية تتعلق بدراسة طرق القوافل، خاصة وأن فرنسا كانت تسعى إلى تغيير مسار الطرق التجارية من طرابلس إلى الجزائر؛ وهي مخططات بدأت منذ منتصف أربعينيات القرن التاسع عشر، وقد اعتمدت فرنسا في البداية على بعض شيوخ القبائل الجزائريين؛ حيث تم ارسال بعضهم إلى مناطق غات وغدامس للتنسيق مع الزعماء المحليين، وبالتالي تم إرسال أول رحالة فرنسي إلى الواحات الليبية وهو (براكس) سنة 1847م، وكان مكلفًا بدراسة الطرق التجارية بين فزان وبرقة وكذلك الطريق التجاري الذي يربط برقة بتشاد، وهو الطريق والذي ينطلق من بنغازي إلى ابشا عاصمة مملكة واداي ويمر بواحات جالو والكفرة (Jomard, 1847, 173, 181 – 182) ثم تزايدت هذه الجهود اعتبارًا من سنة 1853م من قبل الحاكم العام الفرنسي للجزائر الجنرال (راندون) والذي ارسل بعض شيوخ القبائل الجزائريين للتفاوض مع زعماء التوارق، وكانت هذه مقدمة لرحلة (دي بونيمان) الي غدامس سنة 1856م، ثم رحلة (اسماعيل ابو درية) سنة 1858م، كما أنه من بين بنود الاتفاقية التي وقعها الرحالة (ميرشير) مع زعماء التوارق سنة 1862م عدم التعرض للقوافل التجارية مقابل السماح للتوارق بدخول الأراضي الجزائرية واعفائهم من الضرائب (Mircher, 1863, 17 – 20) وبعد ذلك فقد تركزت جهود (لارجو) سنة 1874م على دراسة الطرق التجارية وخاصة تلك التي تربط غدامس وغات بواحات وسط وجنوب الجزائر (موري، 1971، 87)، كما إن بعض الرحالة الفرنسيين كانوا مكلفين بدراسة تضاريس المنطقة ووضع مخطط لإنشاء خط للسكك الحديدية يربط سواحل المتوسط بمناطق

مجلة سوزوسا العلمية المحكمة
Sozusa Peer-Reviewed Scientific Journal
ISSN: 3078 – 2767
المجلد الثالث، العدد الاول، مارس 2025
DOI: https://doi.org/10.66358/sozusa.v3i1.005

وسط افريقيا (Cust, 1884, 848 – 852)، وبرغم أن هذا المشروع كان يستهدف مناطق خارج الأراضي الليبية؛ إلا أن قبائل التوارق في ليبيا كانت معنية بهذه المخططات بحكم الامتداد القبلي لهذه القبائل بين الجزائر وليبيا.

غير أنه منذ أوائل ثمانينيات القرن التاسع عشر فقد أخذت الرحلات الفرنسية في ليبيا تسير تبعًا لبواعث جديدة، تمحورت حول قلق فرنسا من الحركة السنوسية وخصوصًا امتداداها إلى دول الجوار (تونس وتشاد)، والتي كانت ضمن مناطق الأطماع الفرنسية، ولهذا تم إرسال (هنري دوفيريه) في مهمة استخباراتية سنة 1883م شملت تونس وطرابلس (Aujogue, 2024, 7)، كما أن الفرنسي (ماركيز دي موريس) في رحلته سنة 1896م كان مُهتمًا بمعرفة المزيد من المعلومات حول الحركة السنوسية، وبما أن السنوسيون لا يرحبون عادة بالرحالة الأوروبيين، فقد استغل (موريس) علاقته بالرحالة التونسي (محمد بن عثمان الحشائشي)، والذي كان بصدد القيام برحلة إلى الأراضي الليبية، وذلك للحصول منه على تقرير حول الحركة السنوسية، وقد ذكر (الحشائشي) أن (موريس) قبل انطلاقه من فرنسا كان قد شارك في أحد المؤتمرات السياسية وتقدم بمقترحٍ يرتكز على ضرورة أن تتحالف فرنسا مع مسلمي شمال أفريقيا، وذلك بالتقرب إلى الزعماء الدينيين والطرق الصوفية المنتشرة بالمنطقة، (Traiud, 1995, 377 – 378) ويبدو أن هذا هو سبب اهتمامه بالحركة السنوسية.

وقد شهدت نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين تراجعًا في اهتمام الفرنسيين بليبيا، بعد أن اكتفت فرنسا بالسيطرة على تونس وغرب أفريقيا، فيما باتت ليبيا هدفًا محتملاً للتوسع الإيطالي، وحتى الرحلة الفرنسية الأخيرة خلال هذه الفترة والتي قام بها (ليون بيرفنكيير) سنة 1910م كان الهدف منها دراسة ترسيم الحدود بين المستعمرات الفرنسية والعثمانية (موري، 1971، 123 – 124)، في تونس والجزائر مع ليبيا (ولاية طرابلس الغرب العثمانية) ولهذا فقد تركزت جهود (بيرفنكيير) على مناطق غدامس وغات فقط.

لكن سيطرة الدوافع السياسية والاقتصادية لا تلغي وجود دوافع علمية لدى بعض الرحالة الفرنسيين، تركزت في الغالب حول دراسة الآثار، وهذا ينطبق على (براكس) الذي تم تكليفه سنة 1847م بإعداد تقرير عن الآثار الموجودة في المدن الساحلية في برقة.(Jomard, 1847, 178)، وفي العام التالي قام (فاتير دي بورفيل) نائب القنصل الفرنسي في بنغازي برحلة إلى توكرة وطلميثة بهدف إجراء دراسة أثرية، ثم قام

مجلة سوزوسا العلمية المحكمة
Sozusa Peer-Reviewed Scientific Journal
ISSN: 3078 – 2767
المجلد الثالث، العدد الاول، مارس 2025
DOI: https://doi.org/10.66358/sozusa.v3i1.005

في العام التالي 1849م برحلة أخرى إلى مدينة شحات أجرى خلالها بعض الحفريات في موقع (النيكروبوليس) وهو المقبرة اليونانية القديمة، والواقع أن (دي بورفيل) قد خرج عن مقتضيات البحث العلمي؛ حيث قام بسرقة العديد من القطع الأثرية التي تم شحنها إلى فرنسا ولا تزال تعرض في المتاحف الفرنسية حتى الآن (Thorn, 2005, 37 – 38)، وكذلك (هنري ماتيوزو) الذي قام بأربع رحلات ما بين 1901–1906م شملت مناطق متفرقة من الأراضي الليبية، مقدمًا معلومات جغرافية وسكانية هامة عن البلاد بالإضافة إلى اهتمامه بالآثار (موري، 1971، 108 – 111).

كما إن بعض الرحلات الفرنسية كانت علمية بحتة؛ حيث قام بها أشخاص إما علماء أو باحثين، ولهذا فإنهم لم يهتموا بتدوين مشاهداتهم أو ظروف رحلاتهم بقدر اهتمامهم بالجوانب العلمية التي جاؤوا خصيصًا من أجلها، ومن امثلة هؤلاء الطبيب (لافال) الذي وصل الى منطقة الجبل الأخضر سنة 1874م بهدف إجراء دراسة على نبات (الدرياس) ومدى علاقته بنبات (السلفيوم) (Herincq, 1876, 5, 30, 43) لكن وصوله إلى المنطقة تزامن مع انتشار وباء الطاعون، وهذا ما دفعه إلى تأجيل بحوثه لبعض الوقت من اجل تقديم الرعاية الصحية للمصابين؛ غير إنه قد اصيب هو نفسه بالعدوى ومات في مدينة المرج (Arnaud, 1875, 4) ، وأيضا عالم النبات (جويل ألكساندر دافيو)، والذي تجول في منطقة برقة سنة 1875م، من أجل جمع عينات من النباتات للمتحف الطبيعي في باريس (Durand & Barratte, 1910, xx).

أما الدوافع الدينية (التنصيرية) فقد كانت ضعيفة مقارنة بالدوافع الأخرى، وبهذا الخصوص نذكر الرحلة التي قام بها ثلاثة من منظمة (الآباء البيض) إلى غدامس، والتي لم تحقق أيّة نتائج علاوة على النهاية المأساوية لأفراد البعثة (تشايجي، 1982، 98)، كما إن إحدى الرحلات الفرنسية كانت ذات أهداف دينية؛ ولكن تتعلق بالديانة اليهودية وهي رحلة اليهودي الفرنسي (ناحوم شلوش) ما بين سنتي 1906 – 1908م، والتي جاءت بتكليف من جمعية الأراضي اليهودية في لندن، والتي كانت تدرس امكانية إقامة وطن قومي لليهود في ليبيا (Schlut *et al,* 2012, 119 – 120).

مجلة سوزوسا العلمية المحكمة
Sozusa Peer-Reviewed Scientific Journal
ISSN: 3078 – 2767
المجلد الثالث، العدد الاول، مارس 2025
DOI: https://doi.org/10.66358/sozusa.v3i1.005

كما يُلاحَظ أن بعض الرحلات الفرنسية كانت ذات طبيعة خاصة ونتيجة لظروف طارئة؛ مثل رحلة (الطيب الجزائري) سنة 1898م والتي كان الهدف منها التحقيق في مقتل الرحالة الفرنسي (موريس) (Blanchet, 1900, 262 – 264).

المبحث الثاني: زيارات الرحالة الفرنسيين للأراضي الليبية 1847 – 1910م:

خلال أربعينيات القرن التاسع عشر سعت فرنسا إلى السيطرة على طرق التجارة الصحراوية، وكان المخطط الفرنسي يقضي بتحويل طرق القوافل التجارية من طرابلس إلى الجزائر، ولهذا فقد اهتمت فرنسا بدراسة أوضاع واحات الصحراء الكبرى بما فيها غدامس وغات، ففي سنة 1847م تم إرسال الرحالة (براكس) لدراسة الطريق التجاري الرابط بين برقة ومملكة واداي التشادية، والذي بدأ يشهد نشاطًا ملحوظًا خاصة بعد الاحتلال المصري للسودان سنة 1811م (Jomard, 1847, 178).

غير إنه لا يوجد أي دليل على إتمام (براكس) لهذه الرحلة؛ حيث إن المصادر تشير فقط إلى مقترحه الذي تقدم به قبل الرحلة، والذي تم نشره في عدد من المجلات العلمية الفرنسية وقتها؛ غير إنه لم يقم بنشر أي تقرير يفيد بإتمام هذه الرحلة، على عكس كل الرحالة الأوروبيين الذين يحرصون على نشر مشاهداتهم سواءً على شكل تقارير أو كتب، وبهذا تبقى هذه الرحلة محل شك.

وفي نوفمبر من سنة 1856م تم تكليف (دي بونيمان) وهو من الفرنسيين المقيمين في الجزائر منذ صغره ولذلك فهو يجيد العربية ويُعرف بين السكان باسم (مصطفى)، وكان الهدف من هذه الرحلة هو دراسة الطريق التجاري ما بين غدامس والواحات الجزائرية (موري، 1971، 64)، وقد انطلق (بونيمان) برفقة قافلة تجارية جزائرية بقيادة (احمد التواتي) إذ إن السفر منفرداً في تلك المنطقة يعد مخاطرة غير مأمونة، وقد وصل إلى مدينة غدامس في 17 – ديسمبر، وقد اثار وصوله قلقًا لدى حاكم المدينة (عثمان بيك) والذي استقبله ببرود وحذر، ومما زاد من صعوبة مهمة (بونيمان) أن خدعة ادعاءه الاسلام ومواظبته على الصلاة في مساجد المدينة لم تنطلِ على السكان الذين ظلوا يتعاملون معه كمسيحي، ولعل افضل ما فعله هو توجهه إلى (عثمان بيك) ومصارحته بسبب رحلته وطبيعة مهمته موضحًا أن فتح الطريق التجاري سيعود بالنفع على الطرفين، وقد جاء توقيت هذه الرحلة مع حرب القرم التي كانت تخوضها الدولة العثمانية ضد روسيا حيث قامت فرنسا بتقديم المساعدة للأتراك، وبالتالي فإن حاكم غدامس قد اعتبر الفرنسيين أصدقاء

مجلة سوزوسا العلمية المحكمة
Sozusa Peer-Reviewed Scientific Journal
ISSN: 3078 – 2767
المجلد الثالث، العدد الاول، مارس 2025
DOI: https://doi.org/10.66358/sozusa.v3i1.005

وحلفاء ولهذا فقد تغيرت طريقة تعامله مع (بونيمان) مما سمح للأخير بإجراء دراسة شاملة عن المدينة، والتي غادرها في يناير سنة 1857م (Cherbonneau, 1857, 21 – 22).

وفي السنة التالية قامت السلطات الفرنسية في الجزائر بإرسال (إسماعيل أبو دربة) وهو جزائري يعمل مترجما بالجيش الفرنسي، في مهمة إلى مدينة غات في اقصى جنوب غرب ليبيا، وقد امتدت اقامة (ابو دربة) في غات من 26 سبتمبر إلى 4 اكتوبر، كان الهدف منها إعداد تقرير عن الزعماء المحليين في المدينة، بغية خلق تفاهم بينهم وبين السلطات الفرنسية في الجزائر مستقبلاً، (موري، 1971، 65)، كما إن (أبو دربة) كان مكلفًا أيضًا برصد الاتصالات بين الحركة السنوسية وزعماء مدينة غات،(Faucon, 1890, 101 – 102) وتعكس زيارة (أبو دربة) سياسة فرنسا في عدم إثارة مخاوف وشكوك سكان غات وزعمائها؛ وذلك من خلال إرسال رحالة مسلم يكون بإمكانه القيام بهذه المهمة افضل من الفرنسيين، إلا إنه من الواضح إن (أبو دربة) قد اضطر لمغادرة المدينة سريعًا بسبب شكوك بعض سكان المدينة في طبيعة مهمته.

وفي سنة 1860م وصل إلى مدينة غدامس الرحالة الفرنسي (هنري دوفيريه) وكان شابًا في العشرين من عمره، سبق له القيام برحلات في الصحراء الجزائرية، وقد وصل إلى مدينة غدامس في أغسطس سنة 1860م، بمساعدة أحد زعماء التوارق ويدعي الشيخ (عثمان) – وسيكون هذا الأخير ابرز أصدقاء فرنسا في المنطقة – كما نجح في استقطاب زعيم تارقي آخر وهو (محمد اخنوخن) أقوى شخصيات قبائل الأزقر في غات وضواحيها، غير إن (دوفيريه) قد عانى بعض الصعوبات؛ إذ يبدو أن موافقة بعض الزعماء لا تعني نهاية المتاعب التي قد يتسبب فيها زعماء آخرون، ولهذا فقد توجه (دوفيريه) إلى العاصمة طرابلس للحصول على تصريح يمكن بموجبه أن يتجول في البلاد بِحُرية، وقد حصل فعلاً على هذا التصريح بمساعدة من القنصل الفرنسي في طرابلس (بوتا) (Vuillot, 1895, 66 – 68)، ثم توجه إلى غدامس، ومنها انطلق إلى مدينة غات صحبة الزعيم (محمد اخنوخن) والذي عقد معه اتفاقًا لمرافقته وحمايته، والواقع أن (دوفيريه) لم يتمكن من دخول مدينة غات نفسها واكتفى بالإقامة في قرية (تونين) والتي تبعد عن المدينة بحوالي كيلومتر واحد، وفي الوقت الذي يشير فيه الباحث الإيطالي (فرانشيسكو كورو) إلى أن السبب هو رفض زعماء قبائل التوارق دخوله لمدينتهم (كورو، 1984، 123) فإن الرحالة الألماني (ادولف كراوزه)

مجلة سوزوسا العلمية المحكمة
Sozusa Peer-Reviewed Scientific Journal
ISSN: 3078 – 2767
المجلد الثالث، العدد الاول، مارس 2025
DOI: https://doi.org/10.66358/sozusa.v3i1.005

يؤكد أن اتباع الزاوية السنوسية في مدينة (غات) هم من رفضوا دخول الرحالة الفرنسي لمدينتهم (كراوزه، 1998، 156)، ثم أكمل (دوفيريه) رحلته في فزان، ولكن هذه المرة دون حماية؛ حيث إن زعماء التوارق قد رفضوا مرافقته إلى بقية مناطق فزان؛ لأن التوارق في غات لازالوا خارج حدود ولاية طرابلس الغرب (ليبيا)، وقد مر (دوفيريه) بمدينة مرزق ليواصل رحلته شمالاً ويعود إلى طرابلس (موري، 1971، 68).

وفي سنة 1862م قررت السلطات الفرنسية في الجزائر إرسال بعثة إلى مدينة غدامس بهدف إجراء اتفاق مع زعماء القبائل لتأمين القوافل التجارية، وكانت البعثة تتكون من العقيد (ميرشير) والنقيب (بولينياك) وعالم الجيولوجيا (فاتون) والطبيب (هوفمان) بالإضافة إلى الجزائري (إسماعيل أبو دربة) سالف الذكر؛ ولعدم إثارة أيّة شكوك لدى حكومة طرابلس فقد توجهت البعثة أولاً إلى طرابلس في أواخر اكتوبر سنة 1862م للحصول على تصريح بالسفر إلى غدامس، وبعد ذلك توجهت البعثة إلى مدينة غدامس والتي اقامت بها لمدة أسبوع من نهاية شهر نوفمبر، حيث تمكنت البعثة من عقد اتفاق مع قبائل التوارق ينص على تعهدات متبادلة بتأمين القوافل التجارية وحرية المرور، وقد وقّع الاتفاق نيابة عن التوارق الشيخ (عثمان) الذي تطرقنا إليه سابقاً (Mircher, 1863, 17 – 20).

وبعد انقطاع دام اثنتي عشرة سنة عاد الرحالة الفرنسيين لممارسة نشاطهم في الأراضي الليبية؛ ففي فبراير من سنة 1874م وصل إلى مدينة غدامس (نوربيرت دورنو دوبير) وهو عسكري سابق في الجيش الفرنسي، وسبق له القيام برحلات في الجزائر والمغرب، وبرفقته التاجر (ايوجين جوبيرت)، وبعد إقامة امتدت شهرين في غدامس قررا السفر إلى مدينة غات في أبريل، وكان يرافقهما مجموعة من التوارق وبعض الجزائريين من قبيلة (الشعانبة)، وبعد بضعة أيام فإن الرحالان الفرنسيان قد قُتِلا قبل بلوغ مدينة غات (Histoire ilustrate Tom xix, 291 – 292)، وبالرغم من هذه الحادثة فإن مدينة غدامس قد شهدت في أواخر نفس السنة وصول الفرنسي (لارجو)، والذي قام برحلتين خاطفتين إلى المدينة ما بين سنتي 1874 – 1875م (Gaffarel, 1892, 272 – 273).

وفي أواخر سبعينيات القرن التاسع عشر بدأ النشاط الاستكشافي الفرنسي في ليبيا يتخذ طابعًا دينيًا؛ وذلك تماشيًا مع التوجه الفرنسي خلال تلك الفترة ليس في ليبيا فقط؛ بل في شمال أفريقيا والصحراء الكبرى عمومًا، وذلك بعد تأسيس جمعية (الآباء البيض)، والتي تهدف إلى التقرب من السكان المحليين عن طريق

مجلة سوزوسا العلمية المحكمة
Sozusa Peer-Reviewed Scientific Journal
ISSN: 3078 – 2767
المجلد الثالث، العدد الاول، مارس 2025
DOI: https://doi.org/10.66358/sozusa.v3i1.005

تقديم الخدمات الصحية (العربي، 1983، 111)، وقد قامت الجمعية بإرسال ستة من رجال الدين الفرنسيين إلى طرابلس سنة 1878م، حيث كان مقررًا انتقالهم فيما بعد إلى غدامس، وكان الكاردينال (ريكارد) هو رئيس هذه البعثة، وقد حققت البعثة في البدء نجاحًا مبدئيًا في كسب مودة سكان غدامس من خلال معالجة المرضى وتقديم العلاج للسكان مجانًا، وفي سنة 1880م نجح هؤلاء المُنصّرون في القيام برحلة على طول الطريق بين غدامس وغات بحجة تقديم المساعدة للمرضى، ثم قررت البعثة فتح فرع لها في غات، وكانت حكومة طرابلس تتشكك في نوايا الفرنسيين؛ خاصة بعد الاحتلال الفرنسي لتونس، فتحججت حكومة طرابلس بأن الطريق إلى غات غير آمنة، وامام إصرار الفرنسيين فقد اشترطت حكومة طرابلس أن يوقع المسافرون تعهدًا بإخلاء مسؤوليتها عن أي هجوم قد يتعرضون له، فتوجه ثلاثة من المنصرين الفرنسيين ومن بينهم الكاردينال (ريكارد) من غدامس إلى غات، وفي الطريق تم الهجوم عليهم واغتيالهم من قبل التوارق، فقامت حكومة طرابلس بالتحفظ على الفرنسيين الثلاثة المتبقين في غدامس إلى أن تم ترحيلهم إلى طرابلس في مارس 1882م (تشايجي، 1982، 96 – 98).

كانت فرنسا خلال هذه الفترة مهتمة بمراقبة نشاط الحركة السنوسية في ليبيا، خاصة وأن هذا النشاط كان يتميز بالامتداد في تونس التي احتلتها فرنسا سنة 1881م، ولهذا الغرض فقد تم تكليف الرحالة (هنري دوفيريه) للقيام برحلة إلى مدينة طرابلس لجمع المزيد من المعلومات عن الحركة السنوسية وخاصة فيما يتعلق بتغلغلها في تونس، وعلى الرغم من أن رحلة (دوفيريه) كانت سريعة وخاطفة؛ فقد وصل إلى طرابلس في 4 – يونيو 1883م ليغادرها بعد بضعة أيام (Traiud, 1995, 323 – 325; Casajus, 2020, 215)؛ إلا إنه قد تمكن من جمع معلومات غزيرة عن الحركة السنوسية، كانت موضوعًا لكتابه:(La Confrérie Musulmane Di Sîdi Mohammed Ben 'Alî Es-Senoûsî Et Son Domaine Géographique en L'année 1300 de L'hégire, 1883 de Notre Ère).

ويقدم هذا الكتاب احصائية لعدد الزوايا السنوسية في ليبيا، وتوزيعها الجغرافي، كما يعرض لأهم مشايخ الحركة.

لقد شهدت أواخر ثمانينيات القرن التاسع عشر بعض التفاهمات الفرنسية البريطانية حول تقسيم مناطق النفوذ في افريقيا، لكن حدود هذه المناطق في الصحراء الكبرى ظلت غير واضحة؛ وهذا ما دفع فرنسا إلى

مجلة سوزوسا العلمية المحكمة
Sozusa Peer-Reviewed Scientific Journal
ISSN: 3078 – 2767
المجلد الثالث، العدد الاول، مارس 2025
DOI: https://doi.org/10.66358/sozusa.v3i1.005

إرسال عدد من البعثات الاستكشافية لمعرفة المزيد عن حدود المناطق التي سيشملها نفوذها مستقبلاً بناءً على الاتفاقات السابقة، ومن هذا المنطق جاءت رحلة العقيد (لويس مونتيل) والذي انطلق من مقر القيادة الاستعمارية في غرب افريقيا ب(سانت لويس) في السينغال، بهدف القيام بجولة طويلة تمتد إلى ضفاف بحيرة تشاد ثم الانعطاف شمالاً إلى تونس مرورًا بالأراضي الليبية، وقد وصل (مونتيل) إلى بلدة (تجرهي) في اقصى جنوب غرب ليبيا في 17 أغسطس 1892م، ليتجه بعدها إلى مدينة مرزق والتي اقام بها لما يزيد عن شهرين، حيث غادرها في نوفمبر متوجهًا إلى العاصمة طرابلس مرورًا ب(سوكنة) و (بن وليد) (موري، 1971، 102)، وفي 10 ديسمبر وصل (مونتيل) إلى العاصمة طرابلس حيث كان في استقباله القنصل الفرنسي (ديسيرتيه) والذي قدمه إلى حاكم ليبيا – طرابلس الغرب العثمانية – (احمد راسم باشا) (Monteil, 1895, 442 – 444)، وتكتسب هذه الرحلة أهمية خاصة لكونها تأتي بعد تراجع وتيرة الرحلات الفرنسية منذ مقتل (ريكارد) ورفاقه سنة 1882م، كما إن استقبال الباشا شخصيًّا للعقيد (مونتيل) في وقت كانت فيه حكومة طرابلس تفرض قيودًا على حركة الرحالة الأوروبيين، يوحي بتغير موقف الحكومة من نشاط الرحالة الأجانب.

في سنة 1895م عرض الأكاديمي الفرنسي (ماركيز دي موريس) على حكومة بلاده مشروعًا يقضي بالتحالف مع مسلمي شمال أفريقيا ضد التوسع الاستعماري البريطاني، ونصح بالتقرب إلى زعماء الطرق الصوفية ومن بينها السنوسية (Martel, 1965 Tom 1, 681) وفي تونس – التي كانت فرنسا تحتلها في ذلك الوقت – تم الاتفاق مع رحالة تونسي وهو (محمد بن عثمان الحشائشي) على أن يقوم الأخير برحلة إلى الكفرة للتعرف أكثر على زعيم الحركة السنوسية (محمد المهدي) حيث كان (دي موريس) يتجنب القيام بهذه المهمة خوفًا من السنوسيين، وفي نفس الوقت يتوجه (دي موريس) إلى واحة غدامس ثم ينطلق منها إلى غات بحيث يلتقي هناك بزميله (الحشائشي) (Traiud, 1995, 377 – 378)، وقد وصل (دي موريس) فعلاً إلى غدامس ثم توجه إلى غات؛ غير إنه قتل في الطريق، عند موقع (بير المشيقيق) (كورو، 1984، 146)، وبالتالي انتهى مشروعه بالتقرب إلى الحركة السنوسية.

وفي مطلع القرن العشرين قام عالم الآثار الفرنسي (هنري ماتيوزو) بسلسلة من الرحلات في مناطق متفرقة من الأراضي الليبية؛ حيث وصل إلى مدينة طرابلس سنة 1901م ليقوم برحلة إلى جبل نفوسة الواقع

مجلة سوزوسا العلمية المحكمة
Sozusa Peer-Reviewed Scientific Journal
ISSN: 3078 – 2767
المجلد الثالث، العدد الاول، مارس 2025
DOI: https://doi.org/10.66358/sozusa.v3i1.005

جنوب العاصمة، ثم عاد سنة 1903م ليقوم برحلة أخرى إلى موقع (قرزة) الأثري مرورًا بمدن (غريان) و(بن وليد) و (مزدة)، وكان يخطط للعودة في العام التالي ليقوم برحلة إلى برقة – الجزء الشرقي من ليبيا – لكنه لم يحصل على التصريح اللازم للرحلة، فأعاد استكشاف نفس المناطق التي زارها في رحلتيه السابقتين، وفي سنة 1906م تمكن اخيرًا من الحصول على موافقة الحكومة بالسفر إلى (بنغازي) والتي انطلق منها في رحلة إلى مدينة (درنة) مروراً بمدن (توكرة – طلميثة – شحات) (موري، 1971، 108 – 111).

وفي يوليو سنة 1906م وصل إلى طرابلس العاصمة الرحالة الفرنسي (ناحوم شلوش) وهو يهودي مكلف من قبل جمعية الأراضي اليهودية في لندن بإعداد تقرير عن مدى امكانية اقامة مستوطنة يهودية في ليبيا، وقد تم استقباله من طرف (رجب باشا) حاكم ولاية طرابلس الغرب العثمانية – ليبيا – والذي منحه التصريح اللازم للقيام برحلة إلى منطقة جبل نفوسة والتي كانت تضم بعض التجمعات اليهودية، وقد نصحه بتوخّي السرية وانتحال شخصية باحث مسلم؛ كي لا يلفت انتباه سكان المنطقة (Slouschz, 1927, 44) ، وفي سنة 1908م حصل على الإذن للقيام برحلة إلى (بنغازي) والجبل الأخضر، وقد اشاد بتعاون السلطات المحلية في مدينة (بنغازي)، كما اعرب عن المعاملة الحسنة التي لقيها من الزوايا السنوسية في المدن والبلدات التي مر بها (Slouschz, 1927, 75 – 88)، والجدير بالذكر أن رحلة (شلوش) كانت تجري بالتزامن مع رحلة أخرى لنفس الغرض وهي رحلة البعثة اليهودية برئاسة البريطاني (غريغوري)، وقد جاء تقرير (شلوش) معاكسًا تمامًا لتقرير زميله (غريغوري) ففي الوقت الذي رأى فيه الأخير أن الأراضي الليبية لا تصلح لإنشاء مستعمرة زراعية يهودية بسبب نقص المياه وانعدام وجود الأنهار؛ فإن (شلوش) قد رأى أن الأراضي الليبية بل وشمال أفريقيا عمومًا يعتبر موطنًا مثاليًا لإقامة وطن قومي يهودي افضل من فلسطين نفسها (Schult, 2012, 119 -120).

وتأتي آخر الرحلات الفرنسية خلال هذه الفترة سنة 1910م، عندما قامت الحكومة الفرنسية بإرسال (ليون بيرفنكيير) للقيام برحلة على طول الحدود بين ليبيا وكل من تونس والجزائر واللتان كانتا خاضعتين للاحتلال الفرنسي، وكان الغرض من هذه الرحلة هو الاستعداد لترسيم الحدود بين المستعمرات الفرنسية والأراضي التابعة للدولة العثمانية، وقد وقع الاختيار على (ليون بيرفنكيير) لكونه متخصصًا في الدراسات

مجلة سوزوسا العلمية المحكمة
Sozusa Peer-Reviewed Scientific Journal
ISSN: 3078 – 2767
المجلد الثالث، العدد الاول، مارس 2025
DOI: https://doi.org/10.66358/sozusa.v3i1.005

الجغرافية؛ حيث إنه قبل بضع سنوات قد انهى اطروحته الجامعية عن جغرافية وجيولوجية تونس (Tawadros, 2011, 38) وكان (بيرفنكيير) وحكومته يطمحان إلى ضم مدينة (غدامس) الليبية إلى الأراضي الفرنسية وذلك لقربها من الحدود مع تونس والجزائر، بحجة أنها امتداد طبيعي للتكوينات الجيولوجية بالأراضي التونسية، وهذا ما دفع حكومة طرابلس إلى إرسال بعثة علمية – مضادة – برئاسة السويسري (ادموند بيرنيه) لدحض المزاعم الفرنسية (Martel, 1965 Tom 2, 311).

خاتمة:

1. كان الرحالة الفرنسيون روادًا في حركة الاستكشاف الأوروبية الحديثة في ليبيا، منذ مطلع القرن الثامن عشر، وذلك من خلال رحلات كل من: (كلود لومير 1703 – 1707م) و (باول لوكاس 1708م) و (غرانجيه 1733 – 1734).
2. شهدت الفترة ما بين 1734 – 1847م تراجعًا ملحوظًا في وتيرة الرحلات الفرنسية في الأراضي الليبية.
3. عاد الرحالة الفرنسيون إلى ممارسة نشاطهم الاستكشافي في ليبيا منذ 1847م، وكانت رحلاتهم تنطلق من دوافع متعددة؛ تمثلت اهم هذه الدوافع في خدمة مصالح بلادهم السياسية في ليبيا، حيث كانت فرنسا تسعى إلى توسيع مناطق نفوذها في الجزائر لتشمل بعض الواحات الليبية المتاخمة للجزائر.
4. كانت الدوافع السياسية تسير بالتوازي مع الدوافع الاقتصادية المتمثلة في دراسة طرق القوافل، والمراكز التجارية الصحراوية في ليبيا، حيث كانت فرنسا تسعى إلى تغيير مسار الطرق التجارية من طرابلس إلى الجزائر.
5. مثل ظهور الحركة السنوسية في ليبيا هاجسًا فرنسيًا، كان وراء إرسال عدد من الرحالة لإعداد تقارير عن هذه الحركة، وبعضهم كان يسعى للتقرب منها من أجل خلق تحالف فرنسي – سنوسي مضاد للتوسع البريطاني.
6. إن الطابع السياسي والاقتصادي للرحلات الفرنسية في ليبيا لا يلغي وجود دوافع علمية كانت تكمن وراء بعض الرحلات، مثل رحلات (هنري ماتيوزو) 1901 – 1906م.

مجلة سوزوسا العلمية المحكمة
Sozusa Peer-Reviewed Scientific Journal
ISSN: 3078 – 2767
المجلد الثالث، العدد الاول، مارس 2025
DOI: https://doi.org/10.66358/sozusa.v3i1.005

7. إن بعض الرحلات الفرنسية كانت ذات طبيعة دينية (تنصيرية)، ولكن على نطاق ضيق، كما إن تأثيرها كان معدومًا، بالإضافة إلى إن إحدى الرحلات الفرنسية والتي قام بها اليهودي (ناحوم شلوش 1906 – 1908م) كانت تهدف إلى دراسة مدى ملائمة الأراضي الليبية لإقامة وطن قومي لليهود.
8. فيما يخص الموقف المحلي في ليبيا من هذه الرحلات، فإنه بالنسبة لموقف حكومة طرابلس فقد كانت تتشكك في نوايا الرحالة الفرنسيين، إلا أنها لم تتخذ أية إجراءات لمنعهم وعرقلة رحلاتهم؛ وذلك بسبب تدخل القناصل الفرنسيين وتوسطهم لصالح الرحالة، وكذلك لحرص حكومة طرابلس على تحاشي الاصطدام المباشر مع فرنسا. أما عن زعماء القبائل فإن الرحالة الفرنسيين قد نجحوا في كسب صداقة عدد منهم، مثل الشيخ (عثمان) والزعيم (محمد اخنوخن) في مناطق غدامس وغات، بحيث بات هؤلاء الزعماء أصدقاء وحلفاء لفرنسا.
9. في الوقت الذي فشل فيه الرحالة الفرنسيين في إقامة مثل هذه العلاقة مع مشايخ وزعماء الحركة السنوسية التي كانت تتشكك في مآرب هؤلاء الرحالة وتحذر من التعامل معهم.
10. على امتداد الفترة ما بين 1874 – 1896م، فإن ثلاثة رحالة فرنسيين قد قتلوا في ليبيا: (دورنو دوبير) و(ايوجين جوبيرت) سنة 1874م، و(ماركيز دي موريس) 1896م، بالإضافة إلى ثلاثة من رجال الدين الفرنسيين (ريكارد) ورفيقيه سنة 1882م، والواقع أن مقتل هذا العدد من الرحالة الفرنسيين يشير إلى موقف غير ودي من قبل السكان، حيث إنه لم يقتل أي رحالة أوروبي في ليبيا خلال هذه الفترة باستثناء الهولندية (ألكسندرينا تينا) سنة 1869م.

المصادر والمراجع:

أولا: باللغة العربية:

1. تشايجي، ع. ر .(1982). *الصراع التركي الفرنسي في الصحراء*)مراجعة على الأسطى، ترجمة محمد اعزازي، تقديم طاهر الجراري). مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية .
2. حسن، م .(2010). *التوارق بين السلطة التقليدية والإدارة الفرنسية في بداية القرن العشرين* .منشورات المجلس الأعلى للغة العربية .

مجلة سوزوسا العلمية المحكمة
Sozusa Peer-Reviewed Scientific Journal
ISSN: 3078 – 2767
المجلد الثالث، العدد الاول، مارس 2025
DOI: https://doi.org/10.66358/sozusa.v3i1.005

3. الخباط، ع. خ .(1985) .*العلاقات بين إيالة طرابلس الغرب وإنجلترا: 1795–1832م* .المنشأة العامة للنشر والتوزيع .
4. العربي، إ .(1983) .*الصحراء الكبرى وشواطئها* .المؤسسة الوطنية للكتاب .
5. فيرو، ش .(1994) .*الحوليات الليبية من الفتح العربي إلى الغزو الإيطالي*)ترجمة محمد عبد الكريم الوافي، ط3). منشورات جامعة قاريونس .
6. كراوزه، غ. أ .(1998) .*الدواخل الليبية*)ترجمة وتقديم عماد الدين غانم). مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية .
7. كورو، ف .(1984) .*ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني*)ترجمة خليفة التليسي، ط2). المنشأة العامة للنشر والتوزيع .
8. موري، أ .(1971) .*الرحالة والكشف الجغرافي في ليبيا منذ مطلع القرن التاسع عشر حتى الاحتلال الإيطالي*)ترجمة خليفة التليسي). دار الفرجاني .

المراجع الأجنبية:

Arnaud, L. (1875). *Essai sur la peste en Benghazi 1874*. Paris.

Aujogue, F. (2024). *Papiers d'Henri Duveyrier (1840–1892) et de Charles Maunoir (1830–1901)*. Archives Nationales.

Blanchet, P. (1900). Le voyage à Ghat du Cheikh Mohammed el Taïeb. *Annales de Géographie, 9*. https://doi.org/10.3406/geo.1900.6247

Casajus, D. (2020). *Henri Duveyrier: Un saint-simonien au désert*. Paris.

Cust, R. (1884). The railways over the Sahara. *Journal of the Royal United Service Institution, 28*. https://doi.org/10.1080/03071848409424351

Cherbonneau, M. A. (1857). *Relation du voyage de M. le capitaine de Bonnemain à Rhadames*. Paris.

Di Angelo, F. (2018). *The scientific dialogue linking America, Asia and Europe between the 12th and the 20th century*. Napoli.

Durand, E., & Barratte, G. (1910). *Florae Libycae Prodromus ou catalogue raisonné des plantes de Tripolitaine*. Paris.

Faucon, N. (1890). *Le livre d'or de l'Algérie: Histoire politique, militaire, administrative; événements et faits principaux; biographie des hommes ayant marqué dans l'armée, les sciences, les lettres, etc., de 1830 à 1889* (Tome 1). Paris.

Firaud, C. (1927). *Annales tripolitaines*. Librairie Tourneau.

Gaffarel, P. (1892). *La conquête de l'Afrique*. Paris.

Herincq, F. (1876). *La vérité sur le prétendu silphion de la Cyrénaïque: Silphium cyrenaïcum du Dr. Laval*. Paris.

Jomard, E. F. (1847). Instructions pour le voyage de M. Prax dans le Sahara septentrional. *Bulletin de la Société Géographique*.

Laronde, A. (1987). *Cyrène et la Libye hellénistique: Libykai Historia*. Paris.

Laronde, A. (1992). Aspects méconnus du voyage de Granger en Cyrénaïque au XVIIIe siècle. *Bulletin de la Société Nationale des Antiquaires de France*. https://doi.org/10.3406/bsnaf.1992.9566

Martel, A. (1965). *Les confins saharo-tripolitains de la Tunisie, 1881–1911* (Tomes 1–2). Presses Universitaires de France.

Mircher, H. (1863). *Mission de Ghadamès, September–December 1862*. Paris.

Monteil, L. (1895). *De Saint-Louis à Tripoli par le lac Tchad: Voyage au travers du Soudan et du Sahara accompli pendant les années 1890–1892*. Paris. https://doi.org/10.5479/sil.234857.39088000110791

Murray, H. (1818). *Historical account of discoveries and travels in Africa* (Vol. 2). London.

Pacho, J. R. (1827). *Relation d'un voyage dans la Marmarique, la Cyrénaïque, et les oasis d'Audjehah et de Maradèh*. Librairie de Firmin Didot Frères et Fils.

Rekowska, M. (2016). *In pursuit of ancient Cyrenaica, 1706–1911*. Archaeopress. https://doi.org/10.2307/j.ctvxrq1gs

Wright, J. (1989). *Libya, Chad and Central Sahara*. London.

Wright, J. (2012). *A history of Libya*. London.

Zwierlein, C. (2016). *Unknowns imperial: The French and British in the Mediterranean, 1650–1750*. Cambridge University Press. https://doi.org/10.1017/CBO9781316711040